دفاتر الفلسفة ١

خاتشيك مومدجيان



العمليّة التّاريخيّة والمعرفة الاجتماعيّة

سلسلة العلوم الاجتماعية

دار الفارابي

سلسلة العلوم الاجتماعية

دفاتر علم الاجتماع

خاتشيك مومجيان

العملية التاريخية والمعرفة الاجتماعية

تعريب : حاتم سلمان

دار الفارابي - بيروت
١٩٧٩

نقل هـــذا الكراس الى العربية عن
مجلة Sciences Sociales الصادرة
عن اكاديمية العلـــوم السوفياتية .

الفصل الثالث ١٩٧٨

دار الفارابي — ص. ب. ٣١٨١
بـــيروت

هـذا الدفـتر

في غمرة الصراع الايديولوجي المحتـدم على الصعيـد العالمي بين قوى التحرر والديمقراطية والاستراتيجية من جهة وبين قوى الامبرياليـة والرجعية مـن جهـة اخرى ، تبرز (نظريات) عديدة تدعي لنفسها بشكل اسـاسي « الحيـاد الموضوعي العلمي » ، وتهدف الى تحويل الصراع الايديولوجي عن مجراه الطبيعي وايجاد نوع من (الصلح الطبقي) الذي سيخلص العالم « من ويلات الصراع الطبقي » .

ومن الواضح ان مسألة قيام علم اجتماعي « غير منحاز طبقيا » خداع فكري لم يعد ينطلي على الكثير من النـاس . ولكن محاولات تضليل الجماهير لا تزال جارية في كل الدوائر « العلمية » الغربية ، بدون وعي احيانا لخطورة هذه المفاهيم المشوهة على علم الاجتماع وعلى العلم كله في نهاية المطاف ، واحيانا بدعم مباشر ومفضوح الـى هـذا الحد او ذاك من مؤسسات شهيرة ومعروفة جدا ترصد لهـا الامـوال لنشر التضليل الايديولوجي المغلف بغلاف « العلـم والموضوعيـة والحيـاد » .

ان الاسطورة الاكثر شيوعا في بلادنا والتي يروجهـا

افراد من الفئتين المشار اليهما اعلاه تكمن في القول ان الصراع الطبقي الجاري على الصعيد العالمي ليس سوى مظهر فوقي « للتنافس على مناطق النفوذ بين القوى الكبرى » . مما يؤدي الى القول ان كل بؤس وشقاء الطبقات الكادحة في بلادنا وكل الويلات الناتجة عن النهب الامبريالي للبلدان النامية ، كل هذا ليس سوى مظهر ثانوي « لصراع القوى العظمى » والذي يجب التغلب عليه عبر بعض « المفاهيم الانسانية » من جهة الداعية الى « الاخوة » بين من يكدسون الثروات على حساب عرق ودماء الشعوب وبين هذه الشعوب نفسها . وعبر بعض « المفاهيم الواقعية » التي لا تنخدع « بلعبة الامم » .

ومثلنا في لبنان واضح جدا من حيث ان ليس من لبناني مستعد لان يتسامح تحت اي ستار ، مع القوى الامبريالية ، والقوى العميلة لها التي اشعلت النار في بلادنا .

هذا الكراس هو مساهمة في الصراع الجاري ضد كل « العلوم الاجتماعية » التي تريد الغاء العلم ، وترتدي في نفس الوقت مسوح النظريات العلمية .

العملية التاريخية والمعرفة الاجتماعية

تتميز الحقبة المعاصرة بتحولات اجتماعية جذرية . فالعديد من العلاقات والمؤسسات الاجتماعية التي كانت تبدو حتى وقت قريب ثابتة وصلبة ، تبدو اليوم هشة وتزول بفعل التناقضات الداخلية غير القابلة للحل . وعلى العكس، فان انظمة اجتماعية وقواعد سياسية وتشريعية جديدة كانت تبدو الى حين طوباوية وبلا مستقبل ، تتقوى الان وتتوطد .

لقد دشنت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى بداية عصر جديد وتحولا حاسما في تاريخ البشرية ، كما سرعت مسيرة هذا التاريخ ودفعت بالملايين من الناس الى نشاط خلاق .

واذا كانت وتائر التطور التاريخي تقاس بالتحولات الاجتماعية الكبرى في مرحلة زمنية معينة ، فاننا نعيش اليوم في عصر يتطور بسرعة لم تعهد من قبل مهما كانت المرحلة التاريخية .

ان السير المتسارع والشديد التناقض للتطور الاجتماعي الراهن يزيد على اكثر من صعيد صعوبة في معرفة جوهره بدقة وقواه المحركة الاساسية ومستقبله القريب والبعيد . فالتطور الاجتماعي الراهن يتجاوز الى حد ما امكانيات تفسيره نظريا ، ويقلب المقاييس الشائعة والتعميمات العادية ، ويدمر بسرعة مدهشة عددا من المفاهيم والنظريات الاجتماعية .

ان وضعا كهذا يمكن له ان يخلق بالفعل في بعض الاوساط تشاؤما فكريا ، ولا عقلانية تصل الى حد الاعتراف بصراحة بان الفكر الاجتماعي ليس في وضع يمكنه من متابعة الواقع وتفسيره بمصطلحات ومفاهيم تم تجاوزها عند ولادتها .

ان العديد من الفلاسفة وعلماء الاجتماع يعتبرون ان عدم ثبات الروابط والعلاقات الاجتماعية يلغي مبدأ الثبات في دائرة الحياة الاجتماعية كلها ، ويمنع امكانية وضع تعميمات وخصائص ثابتة الى حد معين . ويزداد بين علماء الاجتماع الغربيين عدد المشككين بامكانية معرفة هذا العالم بشكل موضوعي ، حيث تسود النسبية والصدفة بشكل مطلق ، وحيث يبدو لهم هذا العالم متغيرا وغير ثابت .

ويدفع الطلاق الظاهر بين الواقع والفكر الاجتماعي ، اكثر ممثلي هذا الفكر تشاؤما الى القول انه يستحيل اساسا نشوء علم الاجتماع كمعرفة علمية ، والبعض يدعو للاقتصار فقط على مجال الظواهر دون محاولة معرفة ما يكمن خلفها في مجال العلوم الاجتماعية .

لقد ترسخت منذ عهد بعيد في علم الاجتماع الغربي الفكرة القائلة بان علم الاجتماع يمر بازمة . ولكن عددا من القائلين بوجود هذه الازمة لا يوضحون حدودها ولا اسبابها، وبالتالي لا يستطيعون تحديد الوسائل الحقيقية للتغلب عليها .

وما يمر بأزمة في الواقع ، ليس علم الاجتماع بشكل عام بل علم الاجتماع الغربي الذي يحاول تبرير وادامة المرحلة الرأسمالية من التطور التاريخي . ومن الطبيعي تماما ان ازمة النظام الرأسمالي وبداية تفككه وظهور المجتمع الاشتراكي وتوطد المنظومة الاشتراكية العالمية ، كل ذلك قد اظهر بشكل قاطع عدم صحة النظرية الاجتماعية التي تجعل من المؤقت ابديا . هذا هو الواقع الاجتماعي السياسي الذي تندرج ضمنه ازمة علم الاجتماع الغربي . والقاعدة المنهجية لهذه الازمة هي رفض الجدلية العلمية اساسا والتعلق بالمثالية والماورائية . وخلال العقود الزمنية الاخيرة ، وبعد كونت ودوركهايم وحتى بارسونز وجماعته ، فضل علم الاجتماع الا يتحدث الا عن سير عمل النظام وليس عن تطوره . اي انه اذا كان المجتمع البورجوازي هو النموذج الامثل المنشود الذي وجده المجتمع البشري اخيرا ، فما هي قيمة الحديث عن الانتقال من الرأسمالية الى مجتمع اخر ؟ ولهذا فان الوظيفية البنيوية ، وهي الاتجاه الغالب في علم الاجتماع البورجوازي ، ترفض فكرة النشوء والتناقضات العفوية ووحدة عمليتي التطور والثورة الخ . . كما يعتبر علم الاجتماع الغربي ان هدفه هو الدفاع عن بنية الكل، والوظيفة العادية لمكوناته ، وتحسين النظام القائم ، والتغلب على كل خلل وظيفي محتمل .

في بداية الخمسينات من هذا القرن كتب اميل بريهيه Bréhier مؤرخ الفلسفة الفرنسي المشهور يقول : « ان احدى السمات الاكثر وضوحا في الفكر المعاصر هي — بالتأكيد — تراجع مسائل النشوء والاصل والتطور لصالح مسائل البنية » (١) . وفي حوالي منتصف الستينات قال سيمور م. ليبسيه Lipset بسكون المجتمع ، معتبرا ذلك القضية الكبرى المطروحة على مجمل علم الاجتماع (٢) .

وفي نفس الوقت تقريبا دافع ريمون آرون عن مبادىء السكون ، ولانه يرى الواقع كما يريده هو ان يكون كتب يقول « بالنسبة للبلدان الغربية التي يستمر فيها التقدم الاقتصادي ، اصبحت ايديولوجية الصراع الحاسم بين الطبقات من تراث الماضي » (٣) . كما قاوم ك. بوبر مصطلح التاريخية والتطور التاريخي . وحاول ان يقدم لعلم الاجتماع الغربي حججا ضد فكرة السير الموضوعي المنطقي للتاريخ ، وضد مفهوم الحتمية والتطور التاريخي ذاته . وفي اللحظة التي تشكل فيها التاريخية ، والتطور الجدلي ، والانتقال بالتغيرات الكمية الى كيفية جديدة ، والتشكيل الثوري لنظام عالمي جديد حقيقة واقعة ، ظل بوبر يصر على التأكيد ان التاريخية غير صحيحة ، وفاشلة (٤) .

ولكن كان من المؤكد انه بوجود ازمة النظام الرأسمالي المتفاقمة باستمرار ، وتطور وتوطد الاشتراكية ، والثورة المتصاعدة باستمرار في مجال العلوم والتقنية ، تصبح محاولات الابقاءعلى نظرية الوظيفية البنيوية بشكلها الاصلي عقيمة . وفي الواقع ، ومنذ بداية السبعينات صار الكثير من

علماء الاجتماع الغربيين يفهم عبثية الدفاع عن افكار «الماهية المقفلة » لنظرية توازن العناصر البنيوية . كما بدأ يدرك مدى العقم في محاولة اختزال الصراعات الاجتماعيةالفعلية والمواجهة بين القوى المتعارضة الى مجرد « نتوء » او « حالة مرضية » يمكن شفاؤها ... الخ . وفي المؤتمر العالمي الثامن لعلم الاجتماع في تورنتو (١٩٧٤) شهد كافة المشتركين على فشل المنهج البنيوي ـ الوظيفي بشكله التقليدي ، وعلى الخذلان الظاهر « لعلم اجتماع التوازن » و« نظرية غياب الصراعات » وعدد اخر من العناصر التي كانت لا تزال تعتبر قمة الفكر الاجتماعي الغربي .

وتنجم ازمة الفكر الاجتماعي البورجوازي ، قبل كل شيء ، عن رفض الجدلية المادية اساسا من قبل معظم ممثلي هذا الفكر . فهناك عوامل ايديولوجية وطبقية تسبب مسبقا عداء علم الاجتماع البورجوازي للمنهج العلمي الجدلي ، وتعلق ذلك العلم بهذا الشكل او ذاك من اشكال المنهج الماورائي في المعرفة .

وكان من المتوقع ان الاكثرية الساحقة من علماء الاجتماع الغربيين الذين ناقشوا في المؤتمر مسألة ازمة هذا العلم سيحاولون التوصل الى اشكال من المساومة . وفي الواقع انه بعد ان تخلى بارسونز وعلماء اجتماع اخرون عن المنهج البنيوي الوظيفي بشكله التقليدي ، حاولوا اكماله بمبدأ التطور . ولكن ما اغنى الوظيفية البنيوية ـ كما كان متوقعا ـ لم يكن المفهوم الجدلي للتطور ، بل المفهوم الماورائي الذي لا يقر ، كما نعلم ، بقانون وحدة وصراع الاضداد ، ويرفض قانون التقدم بالقفزات او تحول

الكمية الى كيفية . وفي الواقع حلت محل المنهج البنيوي الوظائفي فكرة التطورية المبتذلة المستوحاة بشكل رئيسي من سبنسر والمتحررة في الحقيقة الى حد ما من النزعة البيولوجية .

ومن جهة اخرى عرفت نظرية الصراعات الاجتماعية انتشارا اوسع بقليل ، بهدف تقريب النظرية الاجتماعية من العمليات الواقعية . وبدون شك ، ان الاهتمام المتزايد بهذه النظرية يفسر بضرورة معارضة المنهج البنيوي الوظيفي بمبدأ النظام . وفي الحقيقة لم يحدث هذا التعارض ولن يحدث ، لان « علم الصراع » البورجوازي يعمل ليس على التناقضات الطبقية الفعلية المحددة بالبنية الاقتصادية للمجتمع البورجوازي ، بل على الخصائص الاجتماعية النفسية لمختلف الفئات الاجتماعية في بلدان متعددة . وقد كان تحليل الصراعات الاجتماعية خاضعا لهدف التخفيف من حدتها وتجاوزها مع البقاء في اطار حدود المجتمع القائم . ولهذا بالذات ، لم تكن نظرية الصراعات الاجتماعية متناقضة بشكل اساسي مع المنهج البنيوي الوظيفي ، فامكن تضمينها في هذا المنهج بلا اية صعوبة . وقد عبر عالم الاجتماع الاميركي المعروف جيدا ل. كوزر عن هذه الفكرة بوضوح معقول منذ منتصف الخمسينات (٥) .

صحيح ان بعض علماء الاجتماع الغربيين قد توجه الى الجدلية ذاتها . ولكن لما كانت الجدلية المادية سلاحا حادا جدا وخطيرا على اهدافه ، فقد حاول هذا البعض « تحييده » قليلا . واستخدم في هذا السبيل طرقا شتى . وكان اكثرها شيوعا الطريقة المعروفة القائمة على اضفاء

الطابع الذاتي على الجدلية وتحويلها الى مجموعة من طرق تحليل الواقع المختارة تعسفيا . وهذه « الجدلية » كانت خالصة ومنقاة من جوهر الجدلية ذاته ، وهو قانون وحدة وصراع الاضداد . وهي بذلك تؤدي ليس الى حل التناقضات بل الى التوفيق بينها .

ويجري احيانا ، وبشكل اعتباطي تماما ادخال مبدأ الفعالية ، اي ضرورة وجود علاقة وثيقة بين النظرية الاجتماعية وبين اهدافها العملية ضمن الجدلية . ولكن مهما تحدث فريدريكس (٦) عن توجيه النظربة الاجتماعية نحو الممارسة ، فذلك لا يكفي لجعل هذه النظرية نظرية جدلية .

ويمكن ان نذكر أشكالا اخرى مختلفة لتحول بعض علماء الاجتماع الغربيين نحو الجدلية، ولكن هذا لا يعني ابدا انهم تبنوا الجدلية العلمية .

وبرأينا ،ان رفض الجدلية المادية الناجم عن الانتماء الطبقي ، في عصر يظهر فيه الطابع الجدلي للتطور الاجتماعي واضحا وقويا ، يمنع علم الاجتماع الغربي من التخلص من ازمته العميقة واكتساب طابع علمي اصيل .

★★★

يهدف رفض التحليل الجدلي للتطور الاجتماعي الى التوصل لعدم فهم كامل ولتشويه المشاكل الاجتماعية الرئيسية في عصرنا الحاضر .

لقد وصف انجلس الميزة الجوهرية للجدلية بقوله :
« ليس هناك شيء نهائي او مطلق او مقدس بالنسبة لها ؛ فهي تظهر قدم العهد بكل الاشياء وفي كل الاشياء ، ولا يوجد شيء بالنسبة لها الا عملية الصيرورة والتغيير والصعود الدائم من الادنى الى الاعلى ، وهي ذاتها ليست سوى انعكاس هذه العملية في الدماغ المفكر » (٧) .

ولاعتماد هذه الجدلية الثورية يجب القبول بالحكم الذي اصدره التاريخ على الرأسمالية التي تعرقل التقدم الاجتماعي في عصرنا . هذا في حين يعتبر بعض علماء الاجتماع ، على عكس ذلك ، ان مهمتهم هي الدفاع عن المؤسسات والانظمة الاجتماعية البالية عبر تجديدها وتحسينها وضمان بقائها تحت عناوين مغرية .

وتعتمد عدة نظريات اجتماعية طوباوية اليوم على الاستخفاف بالحقيقة الجدلية القائلة بان ما هو حاسم في نهاية الامر في الجسم الاجتماعي وفي التشكيلات الاجتماعية الاقتصادية هو نوع العلاقات الاقتصادية وشكل الملكية السائد . ولهذا فان واضعي هذه الطوباويات يتحدثون عن التطور والتقدم الاجتماعيين متجاهلين مسألة الدور المقرر الذي تلعبه العلاقات الاقتصادية .

وعلى سبيل المثال ، يحاول روستو في كتابه « السياسات ومراحل التنمية » وفي كتابه الاخر « مراحل التنمية الاقتصادية .. بيان لا شيوعي» ان يعيد رسم مسيرة التطور الاجتماعي وايجاد منطلقاتها الرئيسية . ويقول روستو انه ينطلق من مبدأ ان المجتمعات البشرية هي أجسام

كل عناصرها مترابطة فيما بينها ، وان العوامل الاقتصادية لا تلعب دورا مهيمنا فيها اطلاقا (٨) . واعتمادا على هذه المنهجية يحاول المؤلف فهم مشاكل القرن العشرين الاقتصادية الاكثر تعقيدا . ويصوغ بعض الحقائق الجزئية والاحكام الصحيحة ، ولكن المبادىء المنهجية الخاطئة التي ينطلق منها لا تسمح له بان يقيم بشكل صحيح القوانين التاريخية الرئيسية للعصر وتناقضه الاساسي .. اي التناقض بين الرأسمالية والاشتراكية . ويحاول اختزال المنافسة والصراع بين التشكيلتين الاقتصاديتين الاجتماعيتين المتعارضتين الى صراع بين « الديمقراطية الغربية » و« المركزية الشرقية » .

ان المواقف الاولية الخاطئة تقود واضعها الى استنتاجات انسانية تجريدية لا اهمية لها . وهكذا ينهي روستو كتابه بقوله : « ان العلم الحديث والتكنولوجيا الحديثة قد جعلا من البشر كلهم اخوة سواء اعجبهم ذلك ام لا . وهذا يرجع الى اقامة نظام كامل من الروابط المتبادلة التي توحد باواصر متينة الحياة الداخلية للدول ومبادئها في السياسة الخارجية بمعزل عن العقائد والمظاهر الخارجية للصداقة والعداء او اللامبالاة . ويمكن ان نأمل بان هذا الواقع سيقوي تدريجيا الفكرة اللاهوتية والانسانية الخاصة بحضارتنا والقائلة بان اخوة البشر هي ، في نهاية المطاف، حقيقة قائمة » (٩) .

ان اخوة البشر والشعوب ليست في الواقع امنية لا اساس لها . ولكن لكي تتحقق ، يجب ان نحول جذريا العلاقات الاجتماعية التي تركز وسائل وادوات الانتاج الرئيسية في ايدي نخبة قليلة ، (يجدر القول ان هذه النخبة

تنظر بسخرية الى كل هذه الدعوات القديمة للاخوة والمساواة) .

ويجب ملاحظة ان بعض رجال السياسة وممثلي الايديولوجية الغربية يحاولون الابتعاد عن المفاهيم التبسيطية المتفائلة ظاهريا عن التطور الاجتماعي . وهم غير ميالين الى اخفاء المخاطر الجدية التي سيتوجب على المجتمع الرأسمالي ان يواجهها . ومن بين هؤلاء العالم المستقبلي الاميركي توفلر مؤلف الكتاب الشهير « صدمة المستقبل » . ويتحدث هذا العالم في كتاب اخر بنفس الاصرار عن الخطر الذي تتعرض له البشرية ، ويحاول ايجاد الوسائل لانقاذ المجتمع القائم على المبادرة الحرة فيقول : « ان ما يجري ليس سوى انهيار للحضارة الصناعية على كوكبنا واول مظهر جزئي للنظام الجديد تماما والمختلف بشكل مأساوي عن النظام القديم ، مظهر من الحضارة فوق الصناعية التي ستكون تكنولوجية ولكنها لن تكون حضارة صناعية » (١٠) .

ويتضح بعد بحث اكثر تمعنا ان الحضارة فوق الصناعية التي بشر بها توفلر ، ليست سوى مصطلح جديد للدلالة على الرأسمالية في مرحلة التعمق المتزايد للثورة العلمية والتقنية . وتجدر الاشارة الى ان توفلر لا يذكر شيئا عن مسألة الغاء علاقات الملكية الخاصة . انه يطرح دون شك بعض الاتجاهات الحقيقية لتكيف النظام الرأسمالي مع الثورة العلمية والتقنية . ولكن افكاره الرئيسية والميزات الاساسية للرأسمالية فوق الصناعية ذات طابع طوباوي واضح ، ولا جديد فيها . انها حلم «الرأسمالية المخططة» ، اي نسخ جديدة من الترهات القديمة التي تتحدث عن

« الرأسمالية المنظمة » و « الرأسمالية الكينزية » ... الخ.

ان رأسمالية الدولة الاحتكارية مجبرة ، تحت ضغط الثورة العلمية والتقنية، على المناورة والقيام ببعض الخطوات التي تقودها باتجاه التنظيم المخطط لبعض فروع الصناعة. ولكن الرأسمالية عاجزة عن التغلب على ما يدخل في جوهرها : فوضى الانتاج ، والصراع التزاحمي .

في تقرير عمل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في المؤتمر الخامس والعشرين للحزب ، قدم ليونيد بريجنيف تحليلا عميقا وعلميا لواقع العالم الراسمالي، واستنتاجات لا يمكن تجاهلها اذا اردنا احترام الحقيقة ، فقال : « اننا نشهد اشتداد المنافسة بين البلدان الامبريالية، والخلافات داخل السوق المشتركة والحلف الاطلسي، والقوة المتزايدة للاحتكارات العالمية تجعل المزاحمة اكثر عنفا . وتبذل حكومات البلدان الرأسمالية المحاولة تلو الاخرى لتخفيف حدة التناقضات والاتفاق على اجراءات مشتركة للتغلب على الازمة . ولكن هذه هي طبيعة الامبريالية، فكل يحاول الحصول على الفوائد على حساب الاخرين ، ويحاول فرض ارادته . وتتخذ الخلافات اشكالا جديدة كما تتفجر التناقضات بقوة متزايدة » (١١) .

ان توفلر يريد الاقتناع بان الرأسمالية المريضة يمكن ان تشفى من امراضها الخطيرة ، بل وان تصبح ايضا رأسمالية مرفهة تحت الاسم الخادع (الحضارة فوق الصناعية) ، وتشهد نهاية كتابه على ذلك حيث يقول : « ان سنوات صعبة تنتظرنا دون شك . ولكن كلمة

(التقدم) الاتوماتيكي كلمة ساذجة ، وكلمــة (التراجع) الحتمي ليست اقل سذاجة . واذا توصلنا الى رؤية ما هو ابعد من المستقبل القريب ، سنرى تصورات حقيقية ليست لمجرد شيء جديد بل هو من نواح عدة اكثر صلاحا وعدلا . واريد مرة اخرى ان استشهد بريمون فليتشر حيث يقول : « كل مظاهر الانذار التي تخيفنا كثيرا يمكن ان تنجلي تماما لتسفر عن عوارض موت او ، على العكس ، عوارض حياة جديدة » (١٢) .

ولكن المهم في المسألة ان ولادة الرأسمالية الجديدة هذه لن تحدث ابدا مهما كان الاسم الذي سيستعيرونه لها، فلكل شيء بدايته ونهايته . ومن المستحيل الغاء هذهالجدلية التاريخية كما لــم تستطع الغاءها التشكيلات الاقتصادية والاجتماعية السابقة للرأسمالية .

توفلر على حق عندما يؤكد انه لا يوجد تقدماوتوماتيكي كما انه لا يوجد تراجع اوتوماتيكي . ومن الاصح القــول انه لا يوجد لا تقدم ولا تراجع في خط مستقيم . فالتقــدم التاريخي مثلا ، قد يشهد تعرجات ، ومراحــل توقــف ، وتراجعات في حركته . ولكنه اذا كان فعلا تقدما بطبيعته، فهو يتقدم عبر كل الصدف والعراقيل حسب خط صاعد . ولكن ما قيل لا يتعلق ابدا بالرأسمالية الحديثة . فهـــذه الاخيرة اصبحت منذ زمن طويل ظاهرة تراجعية . ولكنهـــا من حيث كونها هكــذا ، لا تزول اوتوماتيكيا عـــن مسرح التاريخ : « ان الشيوعيين بعيدون عـــن التنبــؤ بفشل اوتوماتيكي للرأسمالية ، فهي مـــا زالت تملــك احتياطا لا يستهان به . غير ان احداث السنوات الاخيرة تؤكد بوضوح

جديد انها مجتمع بلا مستقبل » (١٣) .

وتتركز اليوم كما في السابق جهود الكثيرين من الفلاسفة وعلماء الاجتماع والاقتصاد وعلماء المستقبل في الغرب على نفي جدلية الصعود من الرأسمالية الى الاشتراكية في العالم كله .

وقد نشأت نظريات عديدة للاجابة على هذا السؤال الرئيسي في عصرنا ، وكلها تهدف الى نفس الهدف : انكار الضرورة التاريخية لاحلال الاشتراكية بشكل ثوري محل الرأسمالية . ويكفي ان نذكر نظرية الاندماج الاوتوماتيكي للرأسمالية في الاشتراكية ، ونظرية اخرى ليست اقل بدائية وضعفا ، عن تقارب ولقاء وذوبان الرأسمالية والاشتراكية ومحاولات اظهار الاشتراكية ليس كمرحلة اولى من التشكيلة الشيوعية بل كرأسمالية متخلفة ، ولتبرير الفكرة القائلة بوجود بعض بلدان متطورة او نامية لا راسمالية ولا اشتراكية (١٤) .

كما تجري في الفترة الاخيرة محاولات لالغاء المسألة الاساسية في عصرنا ، وهي انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية ، من خلال المبالغة حول مسائل شاملة ، مثل تفادي الحرب الحرارية الذرية وتلوث المجال الحياتي و« الانفجار السكاني » ... الخ .

ان الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية الاخرى تمارس سياسة واقعية في حل هذه المسائل . والبشرية كلها تعرف الجهود النبيلة التي بذلها الاتحاد السوفياتي من اجل تبني مبدأ التعايش السلمي بين الدول ذات الانظمة

الاجتماعية المختلفة وقيام الانفراج الدولي ، ومن اجل الدفاع عن البرنامج الاكثر جذرية لنزع السلاح وتفادي الحرب التي تهدد البشرية جمعاء . وبنفس روح المثابرة تناضل البلدان الاشتراكية بلا كلل ضد اولئك الذين يسممون المجال الحياتي ، ويمنعون حل مشكلة البؤس وسوء التغذية في البلدان المتخلفة اقتصاديا من العالم الثالث .

ان القضايا الشاملة هي قضايا حقيقية تستوجب حلا فعالا .

وتشهد الامثلة التي سقناها على التصور الماورائي للمسائل الراهنة في التطور الاجتماعي المعاصر على ان المنهج الجدلي وحده يسمح باستخلاص اللوحة الحقيقية ، وتسمية الاشياء باسمائها ، وتقديم المعارف الضرورية لتحقيق تحول حاسم في تاريخ البشرية لكي تبدأ تاريخها الحقيقي .

اننا نفهم جيدا ان العديد من علماء الاجتماع ، ولاسباب خارجة عن اطار العلم ، يلاقون صعوبات في تبني المنهج الجدلي والمنهجية المادية التاريخية في دراسة الحركة الاجتماعية لعصرنا . ومع هذا ، وكما يشهد تاريخ العلم ، فان اعظم المفكرين عرفوا كيف يضحون بمصالحهم الفئوية والفردية وباحكامهم المسبقة التي تتعارض والتقدم الاجتماعي ، وذلك من اجل الحقيقة العلمية .

- اننا مقتنعون بعمق ان باستطاعة علم الاجتماع ان يكون سلاحا فعالا في سبيل المعرفة وتغيير العالم ، ولكن فقط بشرط ان يكون علم اجتماع جدليا ماديا .

الهوامش

١ ـ E. Brehier , transformations de la philosophie française , Paris, 1950, p. 157 .

٢ ـ Voir la sociologie aujourd'hui problémes et perspectives, Moscou, 1965, p. 425 (en russe).

٣ ـ R. Aron , la lutte de classes nouvelles leçons sur les sociétés industrielles, Paris 1964, p. 359, .

٤ ـ Voir K. Popper, the poverty of historicism New York , 1961 , p. 6 .

٥ ـ Voir L. Coser , the function of social conflict, Glencoe, ill. , 1956 .

٦ ـ Voir R. W. Friederiks, dialectical sociology Towards a résolution of the Current Cricis in western sociology , Vol. XXIII, No 3, September 1972 .

K. Mark , F. Engels , œvresctioisics , t. III ـ ٧
Moscou , 1970 , p. 460 .

Voir W. W. Rostow, politics and the stages ـ ٨
of Growth , Cambridge , 1971 , p. 3 .

Ibid. , p. 332 . ـ ٩

A. Toffler . the eco-spasm report New York , ـ ١٠
1975 , p. 5 .

XXVe Conorés du P.C.U.S. douvments et réso- ـ ١١
lutions , Moscou , 1976 . p. 35 .

A. Toffler , op. cit. , p. 97 . ـ ١٢

XXVe Congrés du P.C.U.S. ... p. 36 . ـ ١٣

Voir R. S. Heilbranex, antuquiry into the Hur- ـ ١٤
man prospect , New York 1974 .

صدر في هذه السلسلة عن :

شركة المطبوعات اللبنانية ــ دار الفـــارابي

★

- □ قضايا راهنة في علم النفس
  - ● فـــي الكائن الطبيعي والجوهر الاجتماعي للانسان — **اكاترينا شوروفوفا**
  - ● تصوران رئيسيان لمسألـــة « البيولوجي ــ الاجتماعي » — **اندريه يروشلينسكي**
  - ● التعارض غـــير المبرر بيـــن « البيولوجي » و« الاجتماعي » — **بوريس لوموف**
- □ خصوصية التطور في العالم الثالث — **راتشيلا افاكوف**
- □ الرأسمالية والطوباوية الاجتماعية — **نقولاي بيلينكو**
- □ بعض مسائل المنهجية في التاريخ — **يفغيني جوكوف**
- □ التوجه الاشتراكي في النظرية والتطبيق — **اليكسي كيفا**

- □ استراتيجية الغرب الاستعمارية ــ الجديدة **الكسندر كوداتشنكو**
- □ اصل الانسان والمجتمع **ايفور اندرييف**
- □ الماركسية اللينينية ومناهج العلوم الاجتماعية **بوريس اوكرانتسيف**

*

تطلب هذه السلسلة من

١ ــ دار الفارابي

متفرع من شارع الاوزاعي ــ ت ٣١٧٢٠٥

٢ ــ مكتبة المكتبة

قرب البريستول ــ نزلة البيكادللي ــ ت ٣٤٥٦٧٩

طبع على مطابع

الامـل

اذار ١٩٧٩

هذه السلسلة

هذه السلسلة تصدرها دار الفارابي متوخية مراعاة الكثير من المستجدات الطارئة على مجال الاعلام والثقافة والعلاقة بينهما . فمن الطبيعي أن الدراسات الموجزة والمنشورة في دفتر صغير نسبيا تمثل فائدة جمة للكثيرين من الباحثين عن الثقافة والذين ، لسبب او لآخر ، لا يستطيعون متابعة الدراسات الاكاديمية الضخمة حول كافة المواضيع التي تهمهم ، او انهم يفضلون ان يرفقوا دراستهم للمراجع الاساسية ببعض الدراسات القصيرة التي تشكل مقدمة جيدة للتعمق في موضوع ما .

وتشكل هذه الدفاتر محاولة للاطلال على مواضيع متعددة وشيقة ، تدخل كلها في الاطار العام للعلوم الاجتماعية . علما بان اطار هذه العلوم يتسع بقدر ما تزداد قناعة المرء بان العامل الاجتماعي ، بالمعنى الاوسع للكلمة ، هو العامل الحاسم في مجالات اكثر بكثير مما كان يظن ... قبل ماركس .

كما ان الدراسات الواردة في هذه الدفاتر والتي نختارها ونعربها من بين المقالات التي تنشرها مجلة « العلوم الاجتماعية » او غيرها من المجلات التي تعنى بشؤون العلوم الاجتماعية ، والتي تصدر عن اكاديمية العلوم السوفياتية تتخذ في غالبيتها طابع النقاش والمساهمة في الصراع الايديولوجي الجاري على صعيد عالمي . وفي هذا الاطار قد يكون فيها فائدة ليس فقط لطلاب الجامعات والمثقفين عموما ، بل لكافة المناضلين ايضا .



الثمن : ٢٠٠ ق.ل.